الترادف والفروق اللغوية في القرآن الكريم (نماذج مختارة)

دراسة لغوية صرفية

د. ابتهال محمد علي البار

جامعة الملك عبدالعزيز- جدة

المملكة العربية السعودية

الاستلام	٢٠٢٠/١/٥	المراجعة	٢٠٢٠/٢/٢٣	النشر	٢٠٢٠/٤/٣٠

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء على ظاهرة الترادف اللغوي في العربية، وفي القرآن الكريم خصوصا، ومناقشة آراء المؤيدين والمعارضين لوجودها، وتجيب عن سؤال رئيس هو: هل في القرآن الكريم مترادف لغوي؟ أم هناك فروق لغوية دقيقة تفرض استخدام كلمة بعينها دون غيرها من المترادفات؟ واتّبع البحث المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن هذا السؤال، واستعرض أسباب وجود ظاهرة الترادف في اللغة العربية، ثم ناقش نظرية النسبية اللغوية التي تؤكد تأثير اللغة في التفكير الإنساني، فالذين يتحدثون لغات مختلفة يعيشون في عوالم ذهنية مختلفة، مما يؤكد تأثير اللغة في تشكيل المعرفة والفكر عند الشعوب المختلفة، وخلص البحث إلى وجود فروق لغوية بين المترادفات التي استخدمها القرآن الكريم بعناية شديدة بما يتناسب مع السياق اللغوي، وليس ذلك فحسب، بل بما ينسجم أيضا على مستوى دقة الكلمة في أداء المعنى العلمي الحديث.

الكلمات المفتاحية:

الترادف، الفروق اللغوية، دراسة صرفية، الإعجاز اللغوي.

Synonyms and linguistic differences in the Holy Quran

Morphological linguistic study

Dr. Ibtihal Muhammad Ali Al-Bar

King Abdulaziz University - Jeddah

KSA

Received	5/1/2020	Revised	23/2/2020	Published	30/4/2020

Abstract:

This paper aims to shed light on the phenomenon of linguistic synonyms in Arabic, and particularly in the Holy Quran. Also, it seeks to discuss the views of supporters and opponents of its existence, and answers a key question which is: Is the Quran linguistically synonymous? Or, are there precise linguistic differences that require the use of a particular word without other synonyms? The research applied the descriptive analytical approach to answer this question, and reviewed the reasons for the existence of the linguistic synonyms phenomenon in Arabic. Then, the research discussed the theory of linguistic relativity that emphasizes the impact of language on human thinking, as those who speak different languages live in different mental worlds. This confirms the influence of language in the formation of knowledge and thought for different people. The research concluded that there are linguistic differences between the synonyms that used carefully by the Quran in proportion to the linguistic context, not only that, but also consistent with the level of accuracy of the word in conveying the modern scientific meaning

Keywords:

Synonyms, Linguistic differences, Language miracle, Morphological Study.

مقدمة:

ما يزال القرآن الكريم على مرّ العصور والأيام يفيض على من أعمل الفكر في آياته وكلماته بالأنوار والأسرار!! و هذا العمل البحثي يجيب عن سؤال رئيس هو: هل في القرآن الكريم مترادف لغوي؟ أم أن هناك فروقا لغوية دقيقة تفرض استخدام كلمة بعينها دون غيرها من المترادفات؟ وتكمن أهميته في أنه يكشف عن الإعجاز اللغوي القرآني في ظاهرة الترادف، وانتقاء الكلمة المناسبة في المكان المناسب دون غيرها من المترادفات، وتناسُب الكلمة القرآنية مع الإعجاز العلمي الحديث، وقد قُسّم البحث إلى جملة من العناصر، هي:

- مفهوم الترادف اللغوي.
- -ثراء المرادفات في حقل لغوي ونظرية النسبية اللغوية.
- آراء اللغويين القدامى في ظاهرة الترادف.
- أسباب الترادف في اللغة العربية الفصحى
- الإعجاز اللغوي والعلمي في القرآن.

"الترادف في اللغة التتابع، وأردفه أي أركبه خلفه، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه"[١] والمترادفات في الاصطلاح: ألفاظ متّحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق. والترادف التام_رغم استحالته_ نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فإذا وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة وجيزة محدودة، وتظهر سريعا بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة؛ إذ يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد. [٢] وحين نصف العربية بسعة التعبير،وكثرة المفردات، وتنّوع الدلالات، وحين ندعي أن العربية من أوسع اللغات ثروة وأغناها في أصول الكلمات الدّوال على معان متشعّبة قديمة وحديثة، جدير بنا أن نذكر أن اللغات جميعا دون استثناء، تزداد ثروتها وتبلغ مفرداتها من الكثرة حدا لا نهاية له إذا كُتب لها من شروط النماء و الحياة و الخلود ما كُتب للعربية، فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسّع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها ولهجاتها؛ فاحتوت بسبب هذا كلّه على محصول لغوي عظيم، فمثلا قد نجد في لغات العالم القديمة والحديثة كلمات قليلة محدودة للتعبير عن أصوات الحركات الخفيفة، وإذا بحثنا في العربية عن الكلمات التي وضعت لأداء هذه الأصوات وجدنا الكثرة من الكلمات الدّالة على فروق دقيقة جدا. [٣]

وقد جاء في كتب الفروق اللغوية باب كامل في الأصوات وحكاياتها، وفرّق علماء اللغة بين درجات الأصوات التي لا تُفهم، "فاللّغط" عندهم أصوات مبهمة لا تُفهم، و"التغمغم" الصوت بالكلام الذي لا يتّضح، أما "الضوضاء" فهو اجتماع أصوات الناس وغيرهم، وكذلك "الجَلبة".[١]

كما فصّل علماء اللغة في درجات الألوان، مثل: اللون الأبيض، فإذا كان الرجل أبيض لا يختلط مع لونه شيء من الحمرة فهو أمهق، وإذا كان لا يخالطه شيء من الصفرة، مثل لون القمر فهو أزهر، أما اذا اختلطت حمرة قليلة بلونه فهو أقهب، وإذا عته غبرة فهو أعفر.[٢]

وهناك تفصيل كامل في كتب الفروق اللغوية لأصوات الحيوانات والفروق بينها، مما يدل على معرفة واسعة بالصفات الدقيقة لهذه الحيوانات والحشرات، مما يعكس خبرة العرب بالبيئة التي يعيشون فيها، ودقهم في التميز بين أصوات السباع والوحوش وأصوات الطيور، والحشرات، وكذلك الخيل والإبل.[٣]

ثراء المرادفات في حقل لغوي ونظرية النسبية اللغوية:

إن تنوع وثراء المترادفات في العربية يدل على مدى تأثير اللغة على الفكر الإنساني، وهو ما جاءت به نظرية النسبية اللغوية(فرضية اللغة ورؤية العالم) ورائدها:"وورف" و"سابير"؛ إذ ترى هذه النظرية أن اللغة تؤثر على الطريقة التي يفهم ويدرك بها الفرد العالم ومن ثَمّ يتصرف من خلالها في اتصاله بالعالم الذي حوله، وترفض هذه النظرية القول بتماثل التجربة العقلية الإنسانية؛ لأن إدراك العالم يتشكّل وفق النظام اللغوي المعيّن الذي يستعمل في مجتمع لغوي معين، فاللغة هي التي تحدد التفكير في مجتمع ما.[٤] ومن أمثلة ذلك أن في اللغة الهوبية اسم واحد لكل ما يتمكن من الطيران ماعدا الطيور، ويندرج تحت هذا (الطائرة-الطيار-الحشرات) دون تخصيص مفردة لكل نوع، ولا يُفهم المقصود إلا من خلال السياق اللغوي الذي ترد فيه الكلمة. وفي المقابل الكلمة ((snow)تعد فضفاضة وواسعة جدا بالنسبة لسكان الإسكيمو الذين يفصلون المفردات تبعا لصفات الثلج وأحواله، وذلك ينسجم مع البيئة التي يعيشون فيها، وكذلك حال العربي الذي فصّل في أسماء وأصوات الخيل والإبل، ووضع لها عشرات المفردات بما يتناسب مع البيئة الصحراوية التي يعيش فيها.[٥]

ولا نغفل الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية، فقد أجريت دراسات مختلفة، بعضها يؤكد تأثير اللغة لى الفكر والحضارة وطريقة تفكير الشعوب، وبعضها يرى أن اللغة مجرد عامل من عوامل أخرى كثيرة مؤثرة على الفكر، فقد تعبر لغة ما عن قيمة ثقافية بكلمة واحدة، وتعبر عنها لغة أخرى بعدد من الكلمات، مثل كلمات الخيل الكثيرة عند العرب، لكن ذلك لا يعني أن متكلمي لغة أخرى عاجزون عن فهم وإدراك التفاصيل الدقيقة للاختلافات بين الكلمات[٦]

آراء العلماء في ظاهرة الترادف:

اختلف اللغويون العرب في وقوع الترادف التام، فمنذ بدأ اللغويون القدامى في القرنين الثاني والثالث الهجريين في جمع اللغة من أفواه فصحاء العرب من جانب وتفريغ ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والخطب والرسائل حتى نهاية العصر الأموي والبحث عن معانيها وتفسيرها من جانب آخر، أخذ العلماء في تصنيف هذه المادة اللغوية في صور مختلفة، وقام بعض هؤلاء العلماء بجمع الكلمات التي تدّل على معنى واحد في العربية في تأليف مستقلّ، سمّوه أحيانا "الترادف" وأحيانا أخرى باسم "ما اختلفت ألفاظه واتّفقت معانيه". وقد بالغ بعضهم في جمع تلك الألفاظ وإقحام طائفة كبيرة منها لا تمّت إلى المترادف الحقيقي بصلة، وقد أدّت هذه المبالغة إلى ظهور فريق آخر من العلماء يُعارض هذا الاتّجاه، ويرفض ظاهرة الترادف في العربية رفضا تاما، وهو ردّ فعل قوي تجاه الموقف الأول.[٧]

ويمكن إجمال آرائهم فيما يلي:

الفريق الأول: أثبت وجود الترادف، واحتجّ لوجوده بدليل أن جميع أهل اللغة إذا أرادوا أن يفسروا "اللبّ" قالوا: "العقل"،أو إذا أرادوا تفسير "الجرح" قالوا: هو "الكسب"، أو أرادوا تفسير "السّكب" قالوا: هو "الصّب". وهذا يدلّ عل أن اللبّ والعقل عندهم سواء وكذلك الجرح والكسب. و السّكب والصّب وما أشبه ذلك. ويروي أصحاب الترادف قصصا وأحاديث للبرهنة على رأيهم. فمن ذلك ما رووه من أن النبي صلى الله عليه وسلّم وقعت من يده السكين فقال لأبي هريرة: ناولني السّكين، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة، ثم قال بعد أن كرّر الرسول له القول ثانية وثالثة: آلمدية تريد ؟ فقال له الرسول: نعم. ومن المثبتين للترادف العالم الجليل الرماني الذي ألّف "كتاب الألفاظ المترادفة" و العالم كراع الذي ألّف "المنتخب".

والفريق الثاني: ينكر وجود الترادف، ومن هؤلاء ابن فارس وثعلب وأبو هلال العسكري، وأبو علي الفارسي، وتلميذه ابن جني،. إذ يرى ابن فارس أن الشيء الواحد يسمّى بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهنّد والحسام،ولكن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبه أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى، ويرد على من يخالفه في ذلك،. ويؤيد رأي من قال: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناها غير معنى الآخر. وكذلك الأفعال، نحو الفعل "مضى" و"ذهب" و"انطلق"، و"قعد" و"جلس"، و"رقد" و"نام" و"هجع"، إذ يرون أن في "قعد" معنى ليس في "جلس"، وكذلك القول فيما سواه. وهو مذهب أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب أيضا.

وقد ورد أن أبا علي الفارسي كان بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه. فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسّم أبو علي، وقال: ما أحفظ إلا اسما واحدا، هو السيف. فتعجّب ابن خالويه، وقال: أين المهنّد والصارم وكذا وكذا ؟ وكان أبو علي الفارسي يرى أنها صفات. وانتصارا لفكرة وجود فروق لغوية بين الكلمات، وانتفاء وجود الترادف اللغوي المطلق؛ ألّف أبو هلال العسكري كتابه "الفروق اللغوية" وغيره من العلماء؛ لإبطال الترادف وإثبات الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي يُدّعى ترادفها.[٨] و قد أفرد ابن جني في كتابه بابا بعنوان" تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" يرى فيه أن هذا المبحث قوي الدلالة على شرف اللغة وهو مذهب طريف، غريب، لطيف، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها.[٩]

أسباب ظاهرة الترادف في العربية:

لعلّ أبرز العوامل التي أدت إلى اشتمال العربية على هذا الثراء اللغوي العظيم أن المهجور في الاستعمال من ألفاظها كُتب له البقاء. فإلى جانب الكلمات المستعملة كان مدوّنو المعجمات يسجّلون الكلمات المهجورة، وما هُجر في زمان معيّن كان قبل ذلك مستعملا في عصر من العصور، أو كان لهجة لقبيلة انقرضت أو غلبتها لهجة أقوى منها. وهجران اللفظ ليس كافيا لإماتته؛ لأن من الممكن إحياءه بتجديد استعماله. فالاستعمال في العربية على نوعين: مهجور قد يستعمل، ومستعمل قد يهجر. واحتفاظ علمائنا بالنوع الأول وبقاؤه ذخيرة لغوية تساعد على إحيائه، وفي هذا كانت الميزة للعربية. إذ لا تحتفظ أكثر اللغات إلا بالنوع الثاني، وهو مهدّد بالهجران، وقد يتعرض لقوانين التغيير الصوتي، فإذا أميت بالهجر لم يكن في طبائعها ما تعوّض به المهجور الجديد بمهجور قديم، فتضطر إلى الاقتراض من لغات أخرى.[١٠]

كما أن طول احتكاك قريش باللهجات العربية الأخرى قد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات. ولم تقف لهجة قريش في اقتباسها هذا عند الأمور التي كانت تعوزها، بل انتقل كذلك من تلك اللهجات كثير من المفردات والصيغ التي لم تكن في حاجة إليها لوجود نظائرها في متنها الأصلي، فعزّزت من جرّاء ذلك مفرداتها وكثرت المترادفات في الأسماء والأوصاف والصيغ. وأصبحت الحالة التي انتهت إليها أشبه شيء ببحيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى انحدرت إليها من جداول كثيرة. وقد كانت العرب من الحجّاج وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقّة ألسنتها، وإذا أتت هذه الوفود فإن قريش تتخيّر من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبعوا عليها. [١١]

وعلى هذا الأساس يقرّ كثير من العلماء بوجود الترادف في القرآن لأنه وقد نزل بلغة قريش المثالية يجري على أساليبها وطرق تعبيرها، ولا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة. وبهذا نفسّر ترادف أقسم وحلف في قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) (فاطر: ٤٢) وقوله: (يحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) (التوبة: ٧٤) فقريش كانت تستعمل في بيئتها اللغوية الخالصة أحد اللفظين، واستعملت اللفظ الآخر بعد احتكاكها بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية المختلفة.[١٢]

وكثير من هذه الألفاظ الخاصة باللهجات، لم يدخل إلى استعمالات اللغة الفصحى، وبقيت مقصورة على الاستعمال المحلّي عند هذه القبيلة أو تلك، وكان من الممكن أن تندثر هذه الألفاظ لأن نصوص الفصحى الشعرية والنثرية منها لم تسجّلها بين ألفاظها، لولا أن رحل اللغويون العرب في القرون الأولى للهجرة، في الجزيرة العربية وبين القبائل التي اعتمدوها لتؤخذ عنهم اللغة، فدوّنوا فيما دوّنوا هذه الألفاظ المحليّة الخاصة بلهجات وقبائل معينة. [١٣]

كما أن من أسباب الترادف أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد، ثم يوصف بصفات مختلفة باختلاف خصائص وصفات ذلك الشيء، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما استخدام الشيء، وينُسى ما فيها من الوصف أو ينساه المتحدّث باللغة. ومن عوامل كثرة المترادف في العربية الاستعارة من اللغات الأجنبية التي كانت تجاور العربية في الجاهلية وصدر الإسلام مثل بعض الكلمات المستعارة من الفارسية وغيرها: كالدمقس والإستبرق للحرير، واليمّ للبحر.

ونشير إلى أن كثيرا من الكلمات التي تذكرها المعجمات على أنها مرادفة في معانيها لكلمات أخرى، غير موضوعة في الأصل لهذه المعاني بل مستخدمة فيها استخداما مجازيا. [١٤]

الإعجاز اللغوي والعلمي في القرآن:

_جاء في سورة الحجر قوله تعالى: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) (الحجر: ١٤)

والعروج في اللغة: هو سير الجسم في خط منعطف ومنحن، وقد ثبت علميا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لا بد لها من الانحناء، بسبب انتشار الطاقة في الكون، وتأثير جاذبية المادة على حركة الأجرام في الكون، فكلّ جرم متحرّك في السماء محكوم بكلّ من القوى الدافعة له، وبالجاذبية مما يجعله يتحرك في خط منحن يمثّل محصّلة كل من قوى الجذب والطرد المؤثرة فيه، وهذا ما سماه القرآن العروج.[١٥]

ويتجلّى الإعجاز في اختيار هذه الكلمة بدّقة لا مثيل لها دون غيرها من المترادفات، نحو: "الصعود، العلوّ، الرّقي"[١٦]؛ فكل هذه المترادفات رغم اشتراكها في المعنى العام، لا تؤدي المعنى العلمي الدقيق الذي أشارت إليه كلمة " يعرجون".

-كما جاء في سورة يوسف وصفاً لحالة سيدنا يعقوب بعدما فقد ابنه وفلذة كبده سيدنا يوسف:- (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ،قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) (يوسف: ٨٤،٨٣)

صورة مؤثرة للوالد المفجوع. يحسّ أنه منفرد بهمه وحيد بمصابه لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تتجاوب مع حزنه وألمه، فينفرد في عُزلة، يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف الذي لم ينسه ولم تهوّن من مصيبته السنوات، ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثّر هذا الكَظْم في أعصابه حتى تبيضّ عيناه حزنا وكمداً[١٧]

ولم يشكُ يعقوب عليه السلام لأحد؛ وكان يكتم همّه في صدره، ومعنى يكظم حزنه: أي يردّه إلى قلبه ولا يطلق الشكوى والضجر، وقد قيل: إنه من "فعيل" بمعنى "مفعول" مثل، قوله تعالى في يونس عليه السلام: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) (القلم: ٤٨)، وفسّره بعضهم بالمكروب والمكمود.[١٨]

وقد تأتي صيغة "فعيل" بمعنى "مفعول"، مثل قوله تعالى: (وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ)(يس: ٣٢)، فكلمة (جميع) في هذا الموضع بمعنى مجموع. كما يفرق علماء الصرف بين صيغة فعيل وصيغة مفعول؛ فالأولى أبلغ فيقال لمن جرح في أنملته (مجروح) ولا يُقال (جريح)، وعلى هذا كظيم أبلغ من مكظوم.لأن صيغة (فعيل) لها إيحاءات مختلفة فهي تأتي للمبالغة، كما تأتي صفة مشبهة، وتأتي مصدرا أيضا، وفي اختيارها إفادة من تلك الإيحاءات والظلال المختلفة لهذه الصيغة،كما أن صيغة اسم المفعول توحي بالحدث أكثر من الصفة المشبهة الدالة على ثبات

الحدث، فالصفات: بخيل، كريم، لا تدل على الحدث بقدر ما تدل على تأصل ودوام هذه الصفات في صاحبها. لذلك اختارت الآية صيغة (فعيل) دونا عن (مفعول) لتلفت الانتباه إلى فجيعة يعقوب وشدة حزنه الملازم له، على خلاف معنى (مفعول-مكظوم) التي تركز على الحدث فحسب.[١٩]

وقد وصل الطب الحديث إلى أن مرض المياه البيضاء التي تصيب العيون لا يرجع سببه إلى الشيخوخة فحسب؛ بل إن أحد أسبابه ارتفاع ضغط الدم وكثرة البكاء و الحزن العميق، كما يعجل بحدوثه الاضطرابات النفسية[٢٠]

وقد جاءت كلمة كظيم لدقة القرآن الكريم في استخدام المترادفات التي تحمل فروقا لغوية، فكلمة "كظيم" تعني:- "ممتلئ من الغيظ أو الحزن، يكتمه ولا يبديه"[٢١] دون غيرها من المترادفات نحو:- "الأسى واللَّهف: حزن على الشيء يفوت. الوجوم:- حزن يسكت صاحبه. الأسف:- حزن مع غضب. التّرح:- ضد الفرح"[٢٢]

ومن عجب أن القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة سنة قد فصَّل في سورة يوسف أعراض وأسباب مرض الماء الأبيض، قريبا مما وصل إليه الطب الحديث فتوضّح الآية الثالثة والتسعون، كيف طلب سيدنا يوسف علاج أبيه بإلقاء قميصه على وجهه إذ تقول الآية: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ((يوسف: ٩٣)، وقد انخفض ضغط الدم عند سيدنا يعقوب عندما أحس أن ابنه حي يرزق وانصرف عنه الحزن والألم وانتابته حالة من السعادة والفرح فارتد إليه البصر كما تقول الآية:(فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يوسف: ٩٦). [٢٣]

_ قال تعالى: (مَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِۚ أَفَلَا يَعْقِلُونَ) (يس: ٨٦)

يخلق الله البشر ويقدّر لهم أجالاً مختلفة، فمنهم من يتوفاه الله مبكراً، ومنهم من يبلغ أرذل العمر، وهي المراحل المتأخرة في حياة الإنسان، وتشير الآية إلى أن من يطول عمره يردّه الله تعالى عكس ما كان عليه في قوته وشبابه، وكلما تقدم الإنسان في العمر تضاءلت نسبة تجدد الخلايا وزادت نسبة الانحلال الخلوي وظهر الضمور العام، وتختلف نسبة التّمدد والضمور باختلاف أنواع الأنسجة، فالظاهر منها البشرة الكاسية للجسم والأغشية المبطنة للقنوات الهضمية وقنوات الغدد تضمر بنسبة أكبر كلما تقدم السن للأعضاء، وهذا هو السبب المباشر لأعراض الشيخوخة.[٢٤] واستخدام أيّ من مترادفات الفعل "نكس" لا تؤدي هذا المعنى مثل:- خفض، أنزل، أحنى، تقول العرب: انتكس المريض أي عاودته العلّة. والمقصود هنا بتنكيسه:" قلبه وجعله على عكس ما خلقه الله أوّلا وهو أنه خلقه على ضعف في جسد وخلوّ من عقل وعلم، ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن يبلغ أشدّه، وتستكمل قوّته ويعقل ويعلم ... فإذا انتهى نكسه في الخلق فيتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصّبا في ضعف جسده وقلّة عقله وخلَوه من الفهم.[٢٥]

وقد أبدعت العربية في وصف مراحل الشيخوخة، يُقال للشيخ المسن قَحْر فإذا قَصُر خطوة فهو دالف ثم هادج، فإذا وصل أقصى ذلك فهو هَرِم، فإذا ذهب عقله فقد خَرِف ويُقال في النساء عجوز. [٢٦]ويقال في اللغة: شاب الرجل ثم شحط ثم شاخ ثم دلف ثم هدج.[٢٧]وقد جاء في الذكر الحكيم على لسان السيدة سارة: (قالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) (هود: ٧٢)

- قال تعالى: (مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (الروم: ٢٣).

لقد ظل موضوع النوم في النهار محلّ جدل حتى وصل العلم والطب إلى ما أشار إليه القرآن الكريم. إذ ينصح العلماء بسنة من النوم في وقت الظهيرة، ويرون أن الإرهاق إذا بلغ كلّ مبلغ بالأجسام والعقول والأرواح فقد آن الأوان لإعادة النظر في خطة بسيطة تزيدنا مقدرة على العمل وشعوراً بالراحة، وهي أن يغفو الإنسان كل يوم

غفوة.لقد اتفّق الأطباء على أن هذه الغفوات التي تتخلّل النهار تدفع الكلال وتخفض ضغط الدم حوالي ١٥ – ٣٠ ملليمتر، وترفع من القلب بعض الحمل المتعب، وقد لوحظ أن الإغفاء قبل القيام بأي مجهود بدني أو عقلي أو بعده يصنع العجائب بالنسبة للإنتاج العضلي والذهني وللحالة الصحية العامة، ويقول العلماء: ساعة تنامها في خلال النهار مضافة إلى ست ساعات تنامها ليلا تجعل المجموع سبع ساعات، أجدى عليك من ثماني ساعات من النوم المتواصل ليلاً. وبذلك يكون القرآن أوّل كتاب يذكر النوم بالنهار[٢٨] ويخصّ كلمة النوم دون غيرها من المترادفات نحو: "الرقود، الهجود، أو السُّبات وهو النوم الخفيف"[٢٩]

وقد ورد باب كامل في كتاب الفروق اللغوية في ترتيب درجات النوم، أورد فيه علماء اللغة الفروق الدقيقة بين درجات النوم ومراحله المختلفة، فأول النوم نُعاس، وهو حاجة المرء إلى النوم، ثم الوَسَن؛وهو أن يثقل النعاس، ثم الكرى؛ والغمض: وهو أن يكون المرء بين النوم واليقظة، ثم التغفيق؛ وهو النوم مع سماع كلام القوم، ثم الإغفاء وهو النوم الخفيف، أما الرقاد؛ فهو النوم الطويل، ثم الهجود والهجوع؛وهو النوم العميق، وأشد النوم التسبيخ.[٣٠]

- قال تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) (النازعات: ٣٠)

تشير هذه الآية الكريمة إلى أن شكل الأرض على هيئة البيضة، وطبقاً للقياسات العلمية الحديثة فإن تفرطح الأرض عند القطبين وبروزها عند خط الاستواء بسبب دوران الأرض حول نفسها يعطي الأرض شكلاً ليس كروياً تماماً، بمعنى أنه شكل بيضاوي.[٣١] وجميع المترادفات الأخرى للكلمة القرآنية (دحاها) لا تصف شكل الأرض بهذه الدقة العلمية المتناهية نحو كلمة "بسطها، مهَّدها، أوسعها"[٣٢]

وقد أفادت ظاهرة الترادف في اللغة العربية في أمور مختلفة، منها: التوسّع في طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يحصل باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع، كما أن الترادف اللغوي يسهّل الوسائل إلى الإخبار عما في النفس، فإنه ربما ينسى المتكلم أحد اللفظين أو يعسر عليه النطق بها، وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف ألثغ، فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء، ولولا المترادفات التي تعينه على قصده لما قدر على ذلك.[٣٣]

الخاتمة:

تناول هذا البحث قضية الترادف اللغوي، وناقش آراء اللغويين القدامى المؤيدين، والمعارضين لهذه الظاهرة، ثم استعرض أسباب وجود هذه الظاهرة في العربية، فمن ذلك: أن المهجور في الاستعمال من ألفاظ العربية كُتب له البقاء. فإلى جانب الكلمات المستعملة كان مدوّنو المعجمات يسجّلون الكلمات المهجورة، التي قد تُستعمل في عصر لاحق، كما أن كثيرا من صفات المفردات تحوّل إلى مرادفات لغوية للكلمة الواحدة، فأصبحت تُستخدم في يوم ما استخدام الشيء ذاته، وبعض المترادفات هي لهجات قبائل عربية مختلفة. وقد وصل البحث إلى نفي وقوع الترادف في القرآن الكريم؛ لأن المفردات القرآنية قد استخدمت بدقة بالغة مع مراعاة الفروق اللغوية بين المترادفات، بما ينسجم ويتّفق مع نتائج البحث العلمي الحديث،

قائمة المصادر والمراجع:

- الأندلسي،أبو حيان، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣

-الثعالبي: أبو منصور: فقه اللغة، تحقيق الدكتور جمال طلبة، دارالكتب العلمية،بيروت،١٩٩٤.

-ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، (بيروت: دار الكتاب العربي).

-الرازي: محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح،مكتبة لبنان،
١٩٩٨

-السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين: المزهر،تحقيق د. محمد جاد المولى،علي البجاوي،محمد إبراهيم، دار الجيل، بيروت.

-الصالح: صبحي: دراسات في فقه اللغة،ط٥، دار العلم للملايين.

-ابن فارس، أحمد، كتاب الفرق، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض،سنة١٩٨٢.

-فرشوخ: محمد أمين، المختار، دار الفكر العربي، دار الفكر العربي،١٩٩٥.

- قطب، سيد، في ظلال القرآن، (د.ت).

-محسب، محي الدين، اللغة والفكر والعالم (القاهرة: لونجمان)

- مختار، أحمد عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع الكويت، سنة ١٩٨٢.

-مخلوف: حسنين محمد: كلمات القرآن، دار ابن حزم،١٩٩٧.

-مدحت حافظ إبراهيم: المستشار: الإشارات العلمية في القرآن، مكتبة غريب،١٩٩٢.

-النجار: زغلول، مجلة الإعجاز العلمي، العدد١٤٢١،٦ هـ.

-نوفل: عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣.

-هنداوي، عبدالحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية)،

-وافي: علي عبد الواحد، فقه اللغة، دار نهضة مصر، ١٩٤٥

الهوامش:

[١] الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح،مكتبة لبنان، ١٩٩٨

[٢] انظر، عبد التواب، رمضان،: فصول في فقه العربية، (القاهرة: مكتبة الخانجي) ١٩٩٩م، ص٣٠٩

[٣] انظر: الصالح،: صبحي، دراسات في فقه اللغة، (بيروت: دار العلم للملايين)، ص٢٩٢_٢٩٣_٢٩٨

[١] انظر، الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: جمال طلبة، (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٩٩٤م،ص ٢٣٤

[٢] انظر: المرجع السابق، ص١١٢،١١٣

[٣]انظر: المرجع السابق،، ٢٤٢،٢٣٩

[٤] انظر: محسب، محي الدين، اللغة والفكر والعالم (القاهرة: لونجمان،) ص٢٩،٢٨

[٥] انظر: محسب، محي الدين، مرجع سابق، ص٣٨-٣٩، شيخ، أحمد، اللغويات العامة، عبدالسلام، أحمد، (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية)، ٢٠٠٦م ص٢٠٨

[٦] انظر: عبدالسلام، أحمد، مرجع سابق،، ص٢٠٨-٢٠٩

[٧] انظر:عبد التواب، رمضان، مرجع سابق، ص٣١٠ _٣١١.

[٨]انظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة،(الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر)، ١٩٨٢م، من ٢١٦إلى ٢١٨.

[٩] انظر: ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج١١٣/٢

[١٠] انظر: الصالح، صبحي مرجع سابق، ص ٢٩٣.

[١١]انظر: وافي، علي عبدالواحد، فقه اللغة، (القاهرة: دار نهضة مصر)، ١٩٤٥م، ص ١٧٢-١٧٣

[١٢]انظر: الصالح، صبحي، مرجع سابق،ص ٢٩٩-٣٠٠

[١٣] انظر: عبدالتواب، رمضان، مرجع سابق، ص ٣١٧،٣١٨

[١٤] انظر: وافي، علي،مرجع سابق، ص ١٧٣

[١٥] انظر: النجار، زغلول، لمحات إعجازية عن أبواب السماء، وظلمة الفضاء، مجلة الإعجاز العلمي، ١٤٢١هـ، العدد٦،ص١١

[١٦] انظر: فرشوخ، محمد، المختار، معجم وجيز في المعاني، (دار الفكر العربي) ١٩٩٥م، ص١٥٦

[١٧] انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (د.ت) ج٤٢/٥

[١٨] انظر: الأندلسي، أبوحيان، مرجع سابق، ج٥/ ص٣٣٣.

[١٩] انظر: هنداوي، عبدالحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية)، ٢٠٠١م ص١٠٦-١٠٧

[٢٠] انظر: نوفل، عبد الرزاق، العلم والقرآن، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ١٩٧٣م، ص١٣٧

[٢١] انظر: مخلوف، حسنين كلمات القرآن، تفسير وبيان،(بيروت: دار ابن حزم)،١٩٩٧م، ص١٣٣

[٢٢] انظر: الثعالبي، أبو منصور، مرجع سابق، ص٢٠٩

[٢٣] انظر: نوفل، مرجع سابق،ص١٣٧.

[٢٤] انظر: حافظ، مدحت، الإشارات العلمية في القرآن،(مكتبة غريب) ١٩٩٣م، ص٢٥٢،٢٥١

[٢٥] انظر:الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل عبدالموجود، علي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٩٩٣م، ج٧ /ص٣٢٩

[٢٦] ابن فارس، أحمد،: الفرق، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة الخانجي)،سنة١٩٨٢ ص٩٢

[٢٧] انظر: الثعالبي،مرجع سابق، ص١٢٦.

[٢٨] انظر: نوفل، عبدالرزاق، مرجع سابق، ص١٠٠

[٢٩] انظر: فرشوخ، محمد، مرجع سابق ص١٦٥

[٣٠] انظر: الثعالبي، مرجع سابق، ص٢٠٠

[٣١] انظر: حافظ، مدحت، مرجع سابق، ص٥٨

[٣٢] انظر: الأندلسي، أبو حيان، مرجع سابق، ج٨ /ص ٤١٥

[٣٣] انظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة، تحقيق د. محمد جاد المولى،علي البجاوي،محمد إبراهيم، دار الجيل، بيروت. ج١، ص٤٠٦